

انتخابات فلسطينية مبتسرة.. قفزة إلى المجهول

جديداً، سيؤدي حكماً إلى إلقاء الكرة في ملعب القوى الإسرائيلية المتطرفة، ومنحها صلاحية حسم الأمور، بينما هي مقبلة على انتخابات رابعة في غضون عامين لم تستطع خلالها أن تحسم أمر الحكم في إسرائيل نفسها.

تحاشياً للإطالة، يمكن الإشارة إلى مثال واحد على استحالة إجراء عملية انتخابية في هذا الوضع الفلسطيني المختل، الذي تنفرد فيه سلطتان، كل منهما في منطقتها، تستطيع قلب الطاولة على السلطة الأخرى. وللأسف الشديد، لم يعد في إمكاننا أن نتخيل إجراء عملية انتخابية نزيهة، ونافاة النتائج، دون ضمانات الخارج يوفرها "أصدقاء" عباس وحما من ذوي العلاقة مع إسرائيل، يمكنهم وضع خطة لتطبيق نتائج الانتخابات على الأرض، على النحو الذي يؤمن إعادة توحيد الكيان الفلسطيني، بالشروط السياسية التي تلائم سقف عملية التسوية. فما دون ذلك، يبقى الوضع الفلسطيني معلقاً ريثما ينتهي الاصوليون والمتطرفون الإسرائيليون من الإجهاد على القضية الفلسطينية، أو على الأقل الإجهاد على السلطتين اللتين لا يختلف اثنان من الفلسطينيين والعرب وحتى الإسرائيليين على فشل وفساد حكمهما.

عبدلي صادق
كاتب وساسي فلسطيني

بعد الكثير من الوعود التي أطلقها محمود عباس، وأعقبها استدعاء حنا ناصر، رئيس لجنة الانتخابات الفلسطينية، بطريقة توحى بأن النوايا حقيقية وجادة، سمع الفلسطينيون مع نهاية سنة 2020 أن إسماعيل هنية أرسل رسالة لعباس، حملها جبريل الرجوب، يليها الأول للثاني شرط التتابع في إجراء الانتخابات التشريعية والرئاسية لمجلس منظمة التحرير. فقد كانت حماس تشترط التزام عباس بتمسك بالتتابع، وذلك كله في سياق مديد من اختراع النزاع لكي لا تكون هناك انتخابات، ولكي يستمر حكم الأمر الواقع، في كل من الضفة الفلسطينية وغزة.

وكان أسوأ ما جرى تكريسه وأوصل الحالة الفلسطينية إلى الحضيض، هو كون عباس يشترط ولا يمكن الإشتراط عليه، وبسبب ذلك كان السجال في السياسة الفلسطينية الداخلية أشبه بحوار الطرشان الذي ينتهي إلى لا شيء، ولا يكون فيه شيء أصلاً، بل إن هذا السجال ليس له نسق أو سياق معلوم، فظل الفلسطينيون يسمعون من رئاسة سلطتهم الأمر ونقيضه في غضون بُرهة زمنية، وهذه علة أخرى تكشف عن حقيقة خطيرة جداً، وهي أن الموضوعات المطروحة، من قبل عباس أو حماس، ليست مقصودة بحد ذاتها وبمضامينها، وإنما هي محض كلام لفائدة كل طرف في السجال.

في هذه المرة، جاءت الحكاية محملة بلقطة غير مسبوقة، من شأنها أن تساعد على إعطاء انطباع كاذب بالجدية، وهي أن حماس وافقت على التتابع، وكان المشكك محصوراً في الفارق بين تزامن الانتخابات أو تتابعها. والمدقق في حقيقة الأمر سيرى أن الإشتراط العباسي والإشتراط الحماسي المضاد، يدلان كلاهما، على أن الطرفين لا يريدان انتخابات، وفي حال أظهرنا استعداداً لإجرائها، فسيكون ذلك بالتوافق على الخاصصة في السلطة، مع تدبير عملية انتخابية شكلية.

ولعل أهم ما يدل على ذلك، هو أن حماس لم تطلب من عباس استعادة العمل بالوثيقة الدستورية، ولا هو أُلح إلى إعادة العمل بها، ولم تكلف حماس نفسها مراجعة مراسيم قرارات عباس غير الدستورية، ومن بينها حل المجلس التشريعي، وتأسيس محاكم عليا أو دستورية بشكل منفرد وغير دستوري، وإصدار قوانين إدارة ومالية غير دستورية، والإنفراد بالمال والإدارة والسفارات وإظهار أعتى أنواع الفساد على هذا الصعيد.

وحتى الترويج لفكرة خاطئة وهي أن إصلاح الأمور سيكون بعد موت عباس أو إزاحته عن طريق صناديق الاقتراع، بينما تدل كل الشواهد على أن إجراء الانتخابات قبل استعادة العمل بالوثيقة الدستورية، وضمانات فئاذ أحكامها، هو المدخل الطبيعي الذي يوفر للعمليات الانتخابية أساساً يمكن البناء عليه. ذلك لأن إجراء أية انتخابات، في ظل الوضع القائم، أي في ظل جموح سلطتي أمر واقع، لكل منهما قبضتها الأمنية؛ من شأنه أن يجلب على الشعب الفلسطيني في الداخل المحتل، بلاء



إلياس الرحباني شاهد على حلو لبنان ومره

اللبنانية التي كانت تهرُ المنطقة. صار لبنان خالياً من كل مقومات وجوده. صار لبنان خالياً من المستشفَى والجامعة والمقهين، من شارع الحمراء والوسط التجاري الذي أعاد إليه رفيق الحريري الحياة، مثلما أعاد وضع لبنان على خارطة المنطقة. صارت مهرجانات بعلبك جزءاً من الماضي البعيد بعدما عمدت إيران عبر أدواتها إلى تحويل إحدى أجمل مدن المنطقة إلى أرض جرداء ومدنية باسطة لا ثقافة فيها سوى ثقافة السلاح.

فوق ذلك كله، ذهب ميناء بيروت وذهب معه دوره في المنطقة. ذهبت، مع تفجير مرقا بيروت في الرابع من آب - أغسطس 2020 أحياء عريقة قديمة جدا سيصبح من الصعب إعادة بنائها وإعادة الحياة إليها.

كان مطار بيروت في ستينيات القرن الماضي سابع أهم مطار في العالم. أين صار مطار بيروت في السنة 2021؟

تحمل وفاة إلياس الرحباني الكثير من المعاني. تنطوي، بين ما تنطوي عليه، على النهاية المأساوية للبنان الذي عليه الاكتفاء بأن يكون مجرد ورقة إيرانية بعدما كان يوزع السعادة والفرح والحب في المنطقة. كانت الأغنية اللبنانية في كل مكان. هل كان لبنان الذي ساعد الأخوان الرحباني ومعهم فيروز وإلياس الرحباني مجرد وهم جرى تسويقه في المنطقة والعالم؟

الأكيد أنه لم يكن كذلك. الأكيد أكثر أنه استطاع أن يقاوم وأن يصمد طويلاً، لكن الهجمة عليه كانت كبيرة ومستمرّة منذ العام 1969 عندما أجب على توقيع اتفاق القاهرة برعاية من جمال عبدالناصر الضابط الرفي الذي أخذ العرب إلى كارثة 1967 التي لا تزال أثارها تتفاعل إلى يومنا هذا في المنطقة كلها.

عاش إلياس الرحباني حياته (83 عاماً) بحلوها ومرّها. كان شاهداً على ما يستطيع لبنان عمله من زاوية المساهمة في نشر الحب والفرح والذوق في المنطقة، كما كان شاهداً على السقوط اللبناني في فخ السلاح غير الشرعي الذي كان فلسطينياً حتى العام 1982 ثم صار إيرانياً بعد ذلك. كان شاهداً على الانتشار اللبناني في المنطقة والعالم وصولاً إلى تفجير لبنان من داخل. يقول شخص عرف إلياس الرحباني إنه مات في الوقت المناسب في عصر كورونا الذي سيقوم منه العالم، فيما من المشكوك فيه أن يقوم منه لبنان. كان شاهداً على الحل اللبناني والمّر اللبناني... على صعود لبنان ومأساته!

قبل ستينيات القرن الماضي، كان على كل فنان لبناني يسعى إلى الشهرة الذهاب إلى مصر. صحيح أن مصر لم تفقد بعد الانقلاب العسكري في 23 تموز - يوليو 1952 كل ما تركه لها النظام الملكي من تراث حضاري وراق على صعيد الفن والأدب، لكن الصحيح أيضاً أن لبنان تحول شيئاً فشيئاً إلى محطة لا بد من التوقف فيها لكل صاحب شهرة عربية، بمن في ذلك العملاقان أم كلثوم ومحمد عبدالوهاب. كان ظهور أم كلثوم في مهرجانات بعلبك حدثاً عالمياً وكان مجيء محمد عبدالوهاب إلى لبنان وتمضيته الصيف في ربوعه وبين أهله بمثابة أمر أكثر من طبيعي.

كان لبنان الذي عرفناه، في جزء كبير منه، صناعة منصور وعاصي الرحباني ومعهم فيروز وذلك قبل أن ينضم إليهم الشقيق الأصغر إلياس الذي أبدع بدوره. لم يكن الفن اللبناني وانتشاره وليد مرحلة معينة بمقدار ما كان تنويجا لدور لعبته بيروت ومعها لبنان منذ قرون عدة. لا يمكن تجاهل أن الجامعة الأميركية في بيروت التي تتعرض حالياً لهجمة من قوى ظلامية أكثر من معروفة، تأسست في العام 1866. قبل سنوات قليلة من تأسيس الجامعة اليسوعية المرتبطة بالثقافة الفرنسية. يرحل إلياس الرحباني وترحل معه رموز عدة ميزت لبنان، بل هي في أساس وجود لبنان. لم يعد لبنان الذي عرفناه موجوداً. لا وجود للمصرف، ولا للفندق... ولا للصحيفة ولا للسنيما والمسرح... ولا للصحيفة في الشرق العربي.

مكان مختلف في ضوء الانقلابات العسكرية التي غيرت طبيعة الحياة في مصر وسوريا والعراق، أي في القاهرة والإسكندرية والمدن المصرية الكبيرة الأخرى وفي دمشق وحلب وبغداد والبصرة. قبل ذلك، كان لبنان، عبر التاريخ، ظاهرة مختلفة في المنطقة. إن لا يمكن تجاهل أن أول مطبعة كانت في دير مار قزحيا في شمال لبنان في العام 1585 ثم قامت مطابع أخرى، عربية وغير سريانية، بينها مطبعة دير الخنشارة في منطقة المتن.

مع رحيل إلياس الرحباني في ظل الوضع اللبناني الراهن، يمكن استعادة شريط كامل لرحلة صعود بلد في ظل انتشار ثقافة الحياة فيه

وأقول نجمه شيئاً فشيئاً مع انتصار ثقافة الموت والذين يروجون لها بوسائل عدة من بينها القضاء نهائياً على بيروت ودورها في المنطقة. لبنان ليس انتصاراً على إسرائيل وأن كل ما يفعلونه من خلال إفراغ لبنان من ثقافة الحياة، بحجة الوقوف في وجه إسرائيل، إنما لا يقدم خطوة واحدة في اتجاه إيداء الدولة العبرية. على العكس من ذلك، تنفّج إسرائيل من بعيد على الأتراء اللبناني وتعتبر نفسها غير معنية بما يحدث بين لبنانيين بريدون الخبر بلدهم وآخرين يرون في لبنان ورقة إيرانية ولا شيء آخر غير ذلك.

مع مرور الزمن، عوضت بيروت عن كل ما حل بالمدن العربية التي تعرضت لهجمة أهل الريف وصولاً إلى ما وصلت إليه اليوم في ظل هيمنة الفكر الديني المتخلف الذي لعب دوره في تغيير طبيعة المجتمعات نحو كل ما هو متخلف، في الشرق العربي.

خير الله خير الله
إعلامي لبناني

ليست وفاة الفنان إلياس الرحباني، ثالث منصور وعاصي واصغر الإخوة الثلاثة، حدثاً عادياً، على الرغم من أن في الإمكان وضع إلياس الرحباني في خانة المبدعين العرب واللبنانيين. هذا يعود، قبل أي شيء، إلى توقيت الوفاة فيما لبنان يحتضر على كل صعيد وبات مهدداً بالزوال عن خارطة المنطقة.

مع رحيل إلياس الرحباني في ظل الوضع اللبناني الراهن، يمكن استعادة شريط كامل لرحلة صعود بلد في ظل انتشار ثقافة الحياة فيه وأقول نجمه شيئاً فشيئاً مع انتصار ثقافة الموت والذين يروجون لها بوسائل عدة من بينها القضاء نهائياً على بيروت ودورها في المنطقة. لبنان ليس انتصاراً على إسرائيل وأن كل ما يفعلونه من خلال إفراغ لبنان من ثقافة الحياة، بحجة الوقوف في وجه إسرائيل، إنما لا يقدم خطوة واحدة في اتجاه إيداء الدولة العبرية. على العكس من ذلك، تنفّج إسرائيل من بعيد على الأتراء اللبناني وتعتبر نفسها غير معنية بما يحدث بين لبنانيين بريدون الخبر بلدهم وآخرين يرون في لبنان ورقة إيرانية ولا شيء آخر غير ذلك.

مع مرور الزمن، عوضت بيروت عن كل ما حل بالمدن العربية التي تعرضت لهجمة أهل الريف وصولاً إلى ما وصلت إليه اليوم في ظل هيمنة الفكر الديني المتخلف الذي لعب دوره في تغيير طبيعة المجتمعات نحو كل ما هو متخلف، في الشرق العربي.

